الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

ومعه خمس رسائل
في العبادات وأصول الدين

تأليف/ ابن حجر العسقلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الرسائل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهوحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاسديدا .يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

أما بعد :

فان الإسلام يخوض اليوم معركة مصير ومن حقه على أبنائه والسائرين فى دربه أن يذودوا عنه وينافحوا دونه بكل ما يملكون من إمكانيات فكرية ومادية ومعنوية .

ومعركة المصير هذه ينبغى أن تستنفر أهل الإيمان فى كل مكان لسد الثغرات وحماية الجبهات التى يتسلل منها إلى الإسلام خصومه، وأعداؤه .

ومسئولية العاملين فى الحقل الإسلامى فى هذه الفترة مسئولية ضخمة ودقيقة ، وبقدر البذل يكون الجزاء ، وعلى قدر الجهد يأتى العطاء .

وإنه ليس من قبيل المبالغة القول بأن التحديات التى يتعرض لها الاسلام فى هذا العصر تفوق كل التحديات التى واجهتها الحركات الأخرى مجتمعة . ولو تعرض لمثل ما تعرض له الاسلام نظام آخر من الأنظمة الوضعية لعفا أثره وانطوى ذكره ولم يعد له فى واقع الحياة أدنى وجود(١) .

وليس هذا بالمستغرب علينا معاشر المسلمين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ، كما بدأ

---

(١) كتاب (الإسلام فكرة وحركة وانقلاب) لفتحى يكن .

فطوبى للغرباء . قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس ، وفى رواية قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : النزوع من القبائل . وهذا مجمل ولكنه مبين فى الرواية الأخرى :

وجاء من طريق آخر (بدأ الإسلام غريباً ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء حين يفسد الناس).

وفى رواية لابن وهب قال عليه الصلاة والسلام : طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين يترك ويعملون بالسنة حين تطفى .

وجملة المعنى فيه من جهة وصف الغربة ماظهر بالعيان والمشاهدة فى أول الإسلام وآخره . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى على حين فترة من الرسل ، وفى جاهلية جهلاء لا تعرف من الحق رسماً ولا تقيم به فى مقاطع الحقوق حكماً بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها وما استحسنه أسلافها من الآراء المنحرفة والنحل المخترعة والمذاهب المبتدعة .

فحينما قام فيهم صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ، سرعان ما عارضوا معروفه بالمنكر ورموه بأنواع البهتان . فتارة يرمونه بالكذب وهو الصادق المصدوق . وآونة يتهمونه بالسحر . وكرة يقولون إنه مجنون (١).

---

(١) الاعتصام للشاطبي :

ولقد استدار الزمان كهيئته يوم أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم فلايزال الناس اليوم عاكفين على أصنام لهم — من أوثان منحوتة ومنجورة ومقبورة ومنصوبة . ولاتزال عبادة الله وحده غريبة ، ولاتزال الفتنة قائمة على قدم وساق ، ولا يزال إله الهوى يعبد ، ولا يزال الأحبار والرهبان والملوك والسلاطين وأصحاب القوة والثروة والزعماء والأحزاب السياسية أرباباً من دون الله تقرب لها القرابين وينصب لها الجبين .

وكذلك العالم اليوم رغم اتساعه وتوافر وسائل السفر والانتقال من مكان إلى مكان ، واتصال الشعوب والأمم بعضها ببعض أضيق بأهله منه بالأمس ، قد ضيقته المادية التى لا تنظر إلا إلى قدميها ولا تؤمن إلا بفائدة صاحبها ولا تعرف غير العكوف على الشهوات وعبادة اللذات ، وقد خنقته الأثرة التى لا تسمح لاثنين بالعيش فى إقليم واسع ، والوطنية الضيقة التى تنظر إلى كل أجنبى شزراً وتجحد له كل فضل وتحرمه كل حق .

ثم ضيق خناق هذه الحياة المادية المسيطرون السياسيون الذين يحتكرون وسائل الحياة والرزق والقوت . يضيقون هذه الحياة على من شاءوا ويوسعونها لمن شاءوا ويبسطون الرزق كما زعموا لمن شاءوا ويقدرونه على من شاءوا . فأصبحت المدن الواسعة أضيق من جحر ضب ، وأصبح الناس فى بلادهم فى شبه حجر

كحجر السفيه واليتيم ، وضاقت على الناس الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم .

وهنالك أديان بغير اسم الأديان ، لاتقل فى نفوذها وسلطانها ولاتقل فى جورها وعدوانها وعبثها بعقول الناس عن الأديان القديمة. وهى النظم السياسية والنظريات الاقتصادية التى يؤمن بها الناس كدين ورسالة ، كالجنسية والوطنية والديمقراطية والاشتراكية والدكتاتورية والشيوعية :

وهى أقل مسامحة لمن لا يدين بها ، وأشد قسوة على منافسيها وأضيق عطفاً من الأديان الجاهلية . والاضطهاد السياسى اليوم أفظع من الاضطهاد الدينى فى القرون المظلمة .

فقد تحولت أوروبا النصرانية جاهلية مادية . تجردت من كل ما خلفته النبوة من تعاليم روحية وفضائل خلقية ومبادىء إنسانية وأصبحت لاتؤمن فى الحياة الشخصية إلا باللذة والمنفعة المادية . وفى الحياة السياسية إلا بالقوة والغلبة ، وفى الحياة الاجتماعية إلا بالوطنية المعتدية والقومية الغاشمة . وثارت على الطبيعة الإنسانية والمبادىء الخلقية ، وشغلت بالآلات واستهانت بالغايات ونسيت مقصد الحياة :

وبجهادها المتواصل فى سبيل الحياة وبسعيها الدائب فى الاكتشاف والاختبار مع استهانتها المستمرة بالتربية الخلقية وتغذية

الروح وجحودها بما جاءت به الرسل وبامعانها فى المادية وبقوتها الهائلة مع فقدان الوازع الدينى والحاجز الخلقى وأصبحت فيلا هائجاً يدوس الضعيف ويهلك الحرث والنسل .

وأما روسيا الشيوعية فليست إلا ثمرة الحضارة الغربية . وقد أينعت وأدركت . ولا تمتاز عن الشعوب والدول الأوروبية . إلا أن روسية قد خلعت جلباب النفاق والزور ونفذت ماتزوره وتبطنه الأمم الغربية منذ زمن طويل . وتعتقده منذ قرون فى الأخلاق والاجتماع .

وقد استبطأت روسية سيرها بين الأمم والدول فى سبيل الإلحاد واللادينية والاباحة المادية البهيمية فهى تريد أن تتولى قيادة العالم وتسير بالأمم الإنسانية سيراً حثيثاً إلى ما وصلت إليه .

وليس على وجه الأرض اليوم أمة أو جماعة تخالف الأمم الغربية فى عقائدها ونظرياتها وتزاحمها فى سيرها وتعارضها فى وجهتها وتناقشها فى مبادئها وفلسفتها الجاهلية ونظام حياتها المادى لا فى أوربا ولا فى أمريكا ولا فى أفريقية وآسيا ، والذى نرى ونسمع من خلاف سياسى ونزاع بين الأمم إنما هو تنافس فى القيادة وتنازع فيمن يكون هو القائد إلى الغاية المشتركة .

ولكن يوجد ثمة فرق بين مجتمعين :

فالمجتمع الجاهلى الأول ما أخطأ فهم هذه الدعوة ومراميها ، وما غم على أهله أمرها . وأدركوا عندما قرع أسماعهم صوت النبى

صلى الله عليه وسلم أن دعوته إلى الإيمان بالله وحده سهم مسدد إلى كبد الجاهلية ونعي لهـا ، فقامت قيامة الجاهلية ودافعت عن تراثها دفاعها الأخير . وقاتلت فى سبيل الاحتفاظ به قتال المستميت ، وأجلبت على الداعى صلى الله عليه ووسلم بخيلها ورجلها وجاءت بحدها وحديدها (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) .

ووجد كل ركن من أركان هذه الحياة ، ومن أثافى الجاهلية نفسه مهدداً ، وحياته مندرة ، وهنا وقع ما تحدث عنه التاريخ من حوادث الاضطهاد والتعذيب ، وكان ذلك آية توفيق النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أصاب الغرض وضرب على الوتر الحساس وأصاب الجاهلية فى صميمها وفى مقتلها وثبت النبي صلى الله عليه وسلم على دعوته ثبوتاً دونه ثبوت الراسيات لا يثنيه أذى ولا يلويه ، ولا يلتفت إلى إغراء ، ويقول لعمه :

« يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » (١)

---

(١) من كتاب (ماذا خسر العالم) للعلامة أبى الحسن الندوى بتصرف بسيط .

أما المجتمعات الحالية :

فقد لجأت إلى إقامة أنظمة وأوضاع فى المنطقة كلها تتزيا بزى الاسلام وتتمسح فى العقيدة ولاتنكر الدين جملة . ثم هى تحت هذا الستار الخادع تنفذ جميع المشروعات التى أشارت بها مؤتمرات التبشير ، وبروتوكالات صهيون ، ثم عجزت عن تنفيذها كلها فى المدى الطويل .

إن الجاهلية اليوم ترفع راية الاسلام أو على الأقل تعلن احترامها للدين بينما هى تحكم بغير ما أنزل الله وتقصى شريعته عن الحياة وتحل ما حرم الله وتنشر تصورات وقيما مادية عن الحياة والأخلاق تدمر التصورات والقيم الاسلامية ، وتسلط جميع أجهزة التوجيه والاعلام لتدمير القيم الأخلاقية الاسلامية وسحق التصورات والاتجاهات الدينية .

إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة وأنها تعانى رجعية نكدة إلى الجاهلية التى أنقذها منها الاسلام ، وهى جاهلية تتمثل فى صور شتى .

بعضها يتمثل فى إلحاد بالله سبحانه وإنكار لوجوده . فهى جاهلية اعتقاد وتصور كجاهلية الشيوعيين .

وبعضها يتمثل فى اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف فى الشعائر التعبدية وفى الدينونة والاتباع والطاعة كجاهلية الوثنيين من الهنود وغيرهم . وكجاهلية اليهود والنصارى وغيرهم .

وبعضها يتمثل فى اعتراف صحيح بوجود الله سبحانه وأداء الشعائر التعبدية مع انحراف خطير فى تصور دلالة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ومع شرك كامل فى الدينونة والاتباع والطاعة وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم مسلمين ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحقوقه بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبدية مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين ومع استسلامهم ودينونتهم لغير الله من العبيد ..

وكلها جاهلية .. وكلها كفر بالله كالأولين أو شرك بالله كالآخرين ...

صعوبة التمييز بين الفريقين

إن المشقة الكبرى التى تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم تتمثل فى وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين فى أوطان كانت فى يوم من الأيام داراً للاسلام يسيطر عليها

---

(١) من كتاب (ماذا خسر العالم) للعلامة أبى الحسن الندوى بتصرف بسيط .

دين الله وتحكم بشريعته ثم إذا هذه الأرض وإذا هذه الأقوام تهجر الإسلام حقيقة وتعلنه اسماً ، وإذا هي تتنكر لمقومات الإسلام اعتقاداً وواقعاً وإن ظنت أنها تدين بالإسلام اعتقاداً فالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .وهي تتمثل في الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا الكون والمتصرف فيه وأن الله وحده هو الذي يتقدم اليه العباد بالشعائر التعبدية ونشاط الحياة كله . وأن الله وحده هو الذي يتلقى منه العباد الشرائع والقوانين ويخضعون لحكمه في شأن حياتهم كله .

وأيما فرد لم يشهد أن لا إله الا الله بهذا المدلول فانه لم يشهد ولم يدخل في الإسلام بعد، كائناً ما كان اسمه ولقبه ونسبه وأيما أرض لم تتحق فيها شهادة أن لا إله الا الله بهذا المدلول فهي أرض لم تدن بدين الله ولم تدخل في الإسلام بعد .

وفي الأرض أقوام من الناس أسماؤهم أسماء المسلمين وهم من سلالات المسلمين. وفيها أوطان كانت في يوم من الأيام دارا للاسلام ولكن لا الأقوام اليوم تشهد أن لا إله إلا الله بذلك المدلول ولا الأوطان اليوم تدين لله بمقتضى هذا المدلول .

وهذا أشق ما تواجه حركات الإسلام الحقيقية في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام .

أشق ماتعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين

الصالحين وطريق المشركين المجرمين واختلاط الشارات والعناوين والتباس الأسماء والصفات والتيه الذى لاتتحدد فيه مفارق الطريق .

ويعرف أعداء الحركات الاسلامية هذه الثغرة فيعكفون عليها توسيعاً وتمييعاً وتلبيساً وتخليطاً حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصى والاقدام . تهمة تكفير المسلمين .

ويصبح الحكم فى أمر الاسلام والكفر مسألة ، المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم لا الى قول الله ولا الى قول رسول الله . (١)
وإنا لله وإنا اليه رجعون .

(١) من كتاب (طريق الدعوة) للشيخ أحمد فائز .

خـــلاصة المقدمـة

إن ما أردنا اثباته فى هذه المقدمة هو التعريف بحال الجاهلية وقت أن قام رسول الله صلى عليه وسلم فيها داعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً فى وسط ظلام حالك عم أرجاء المعمورة من أقصاها الى أقصاها تلك الحال التى وصفها رب العالمين فى قوله تعالى: «ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »

وأيضا عرجنا على الحالة التى ارتدت اليها البشرية بجملتها الآن حتى بات الإسلام غريبا فى وسط أهله وأوطانه ودعاته يجأرون بأعلى صوتهم [من يأوينى حتى أبلغ رسالات الله] ولا نجد الا الصد والتهم الباطلة وتزييف الحقائق . وجدنا من يحاول أن يفصل بين الدنيا والدين . وواعجبا لذلك . وهل نزل الدين الا لينظم الحياة الدنيا وفق ما يحبه ربنا ويرضى ؟

منذأن نزل القرآن بمكة ومن قبل أن تقوم دولة الاسلام بالمدينة والقرآن يربى المسلمين على عقيدة [إن الحكم إلا لله] بمعنى أن الشرع ابتداء هو لله . ولقد جاءت هذه الآية فى سورة يوسف واسطة عقد بين

عقيدة وعبادة . . .

(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) حديث عن العقيدة .

(ان الحكم الا لله) حديث عن الحكم والشرع .

(أمر ألا تعبدو الا اياه) حديث عن العبادة .(١)

وهكذا نرى أن رد الأمر لله سبحانه وتعالى عقيدة . وطاعته سبحانه وتعالى فى أمره ونهيه عبادة .

ولناتساؤل مع الذين ينكرون علينا دعوتنا . هل لو قال انسان ما أن فلانا من الناس له فى الخلق ، أوخلق مع الله شيئا . ماحكمه ؟ بالطبع فانه أشرك مع الله فى خلقه آخرين .

فلماذا ينكرون علينا ونحن نقول لهم أن من يشرع من عند نفسه معرضاً عن شرع الله أشرك مع الله آخرين ، ولهذا ربط الله سبحانه الخلق بالأمر فى قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) فان الذى له الخلق لا بد أن يكون له الأمر . كما ربط سبحانه بين الحكم وقضية الرجوع الى الله مرة ثانية لتوفى كل نفس ما كسبت فى قوله تعالى (له الحكم واليه ترجعون) فان من يرجع اليه فى النهاية ليحاسب الناس على أعمالهم هو الذى له حق الحكم بينهم .

وأهم من هذا فان من مقتضيات شهادة أن لا اله الا الله نفى

---

(١) أصول الشريعة الاسلامية للمستشار الدكتور على جريشه

الألوهية عن سوى الله واثبات الألوهية لله سبحانه : وليست الألوهية تعنى فقط أن لله الخلق والرزق وأن له التقدير والتدبير فذاك ما كان يسلم به أكثر الكافرين . لكن الألوهية تعنى مع ذلك أن لله الأمر والحكم والتشريع .

فمن تصديق المسلم بأن لا إله إلا الله أنه يصدق أن لاخلق الا لله وأن لا تقدير الا لله وأن لا تشريع الا لله .

ومن هنا كانت دعوتنا للبشر كافة وللمسلمين خاصة أن يعبدوا الله وحده لا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا الهاً ولا رباً غيره.

وكذا لكل من أظهر الرضا بالاسلام ديناً أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض .

علاقة المقدمة بموضوع الرسائل

مما تقدم عرفنا أن دعوتنا هى العودة بالبشرية جمعاء الى عبادة الله وحده ، وإفراد الألوهية بخصائصها وألا ينازع الله فى سلطانه أحد سبحانه ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً

كما أن دعوتنا للذين أظهروا الرضا بالاسلام أن يزكوا أنفسهم من شوائب النفاق ومن أدران الإلحاد وأن يرتفعوا الى مستوى الاسلام ممثلا فى كتاب الله وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة وعبادة .

فان العقيدة كانت ولاتزال هى الأساس الذى يقوم عليه بناء الاسلام . وهى إن صلحت صلح الدين كله فهى كالروح للجسد كما أنها هى الدافع للجهاد والعمل ...

(وجوهر العقيدة هو علم بلاإله إلا الله ، وعمل بها) وتوحيد الله بالألوهية .. توحيد بكل خصائصها .

فالخلق والرزق من خصائص الألوهية والتقدير والتدبير من خصائص الألوهية والحكم والتشريع من خصائص الألوهية ...

والاشراك فى واحدة منها ... شرك بالله وكفر به .

ولم يكن أصحاب الجاهلية الأولى يمارون فى أن الله يخلق ويرزق أو أنه يقدر ويدبر (قل من يرزقكم من السماء والأرض . أمن يملك السمع والأبصار . ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر . فسيقولون الله .)

لكنهم كانوا يمارون فى الثالثة . كانوا يمارون فى أن له الشرع ابتداء . من هنا كان حديث القرآن فى مكة ومن قبل أن تقوم دولة الاسلام بالمدينة (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله) وكان التوحيد قائماً على ثلاثة عناصر :

توحيد الله بالربوبية . وتوحيده بالتشريع ابتداء . وتوحيده بالعبادة ..

(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار — إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا إلا اياه) . (١)

لذلك كانت مجموعة الرسائل السلفية هذه خاصة بنوع معين من الناس وهم الذين شهدوا شهادة الحق بمعناها الذى بيناه آنفاً تنير لهم الطريق القويم والصراط المستقيم الذى عليهم أن يسلكوه حتى يلقوا الله وهو طريق ما أصعبه وما أطوله فهو يمر فى وسط خضم الجاهلية المتطاحن الذى لا يدع شيئاً إلا ويريد أن يلقفه وخاصة اذا كان باسم

(١) أصول الشريعة الاسلامية للمستشار على جريشة .

الإسلام فالجاهلية تعرف الإسلام جيدا ولذا فهى حريصة على عدم قيامه مرة ثانية وعلى أن يظل أهله تابعين لها .

ولكن يأبى الله إلاأن يتم نوره ولو كره الكافرون. أما الذين لم تتضح الرؤية أمامهم بعد ولم يشهدوا شهادة الحق بمعناها الذى بيناه فلاحظ لهم ولا نصيب فى هذه المجموعة من الرسائل وعليهم أن يوطنوا أنفسهم قبل أن يوردوها مورد التهلكة وعليهم أن يفيئوا إلى الله تائبين عابدين حامدين عسى الله أن يقبل منهم توبتهم ويتوب عليهم إنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون .

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حدائق شبرا فى
ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هـ

إعـــداد
عبد الله حجاج